الذكاء الاصطناعي والتقنية
ومواقع التواصل الاجتماعي

كيف نصنع من التكنولوجيا وسيلة لبناء الإنسان والمجتمع؟

مقال هادف توعوي

مقدمة

لم تعد التقنية مجرد أدوات نستخدمها في العمل أو الدراسة، بل أصبحت جزءًا أساسيًا من تفاصيل حياتنا اليومية. ومع ظهور الذكاء الاصطناعي وانتشار مواقع التواصل الاجتماعي، دخل العالم مرحلة جديدة تتغير فيها طريقة تعلّمنا، وتواصلنا، واتخاذنا للقرارات، وصناعتنا للمحتوى. وهذه التحولات تحمل فرصًا عظيمة، لكنها في الوقت نفسه تضع أمامنا مسؤوليات جديدة تتعلق بالوعي والأخلاق وحسن الاستخدام.

الذكاء الاصطناعي: قوة جديدة تحتاج إلى عقل واعٍ

الذكاء الاصطناعي هو مجموعة من التقنيات التي تمكّن الأنظمة الرقمية من تنفيذ مهام تتطلب عادةً قدرًا من الفهم أو التحليل أو التنبؤ أو توليد المحتوى. وقد أصبح حاضرًا في مجالات كثيرة، مثل التعليم، والطب، وخدمة العملاء، والبرمجة، وتحليل البيانات، والإبداع. والأهم من معرفة قدراته هو أن ندرك أن قيمته الحقيقية لا تأتي من كونه أسرع من الإنسان فقط، وإنما من الطريقة التي يختار بها الإنسان توظيفه.

ومن المفيد أن ننظر إلى الذكاء الاصطناعي باعتباره أداة تعزّز قدرات الإنسان، لا بديلًا عن التفكير. فهو يستطيع اقتراح أفكار، وتنظيم معلومات، وتلخيص نصوص، وتحليل أنماط، لكنه قد يخطئ أو يقدّم معلومات غير دقيقة. لذلك يبقى التحقق، والتمييز بين الصحيح والخطأ، وفهم السياق، مسؤولية بشرية لا يمكن إلغاؤها.

التقنية بين التيسير والتحدي

التقنية قرّبت المسافات، وسهّلت الوصول إلى المعرفة، ووفّرت خدمات لم تكن متاحة بسهولة في الماضي. يستطيع الطالب اليوم أن يتعلم من مصادر متعددة، ويمكن لصاحب مشروع صغير أن يصل إلى عملاء من خارج مدينته، كما يمكن للمؤسسات أن تستخدم الأدوات الرقمية لتحسين الأداء وتقليل الوقت والتكلفة.

لكن كل سهولة يصاحبها ثمن إن لم نستخدمها بوعي. الاعتماد المفرط على الأجهزة قد يضعف التركيز، وكثرة التنقل بين التطبيقات قد تشتت الانتباه، كما أن تحويل كل نشاط إنساني إلى تجربة رقمية قد يقلل من قيمة الحوار المباشر والعلاقات الواقعية. لذلك لا يكفي أن نسأل: ماذا تستطيع التقنية أن تفعل؟ بل ينبغي أن نسأل أيضًا: هل ما تفعله التقنية مفيد فعلًا للإنسان؟

مواقع التواصل الاجتماعي: نافذة واسعة ومسؤولية أكبر

أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي مساحة رئيسية للتعبير والتفاعل ونشر الأخبار والأفكار والتسويق وبناء المجتمعات. وهي تمنح الإنسان فرصة لصناعة أثر والوصول إلى جمهور واسع، لكنها في الوقت نفسه قد تجعل المعلومة تنتشر قبل أن يتم التحقق منها. وقد يتحول التفاعل الرقمي بسهولة إلى مقارنة مستمرة بالآخرين، أو إلى البحث عن الإعجاب بدل البحث عن القيمة.

المشكلة ليست في مواقع التواصل ذاتها، وإنما في طريقة استخدامها. يمكن للمنصة نفسها أن تكون وسيلة للتعلم والإبداع ونشر الخير، أو أن تتحول إلى مساحة للتنمر والشائعات وإضاعة الوقت. ولهذا فإن النضج الرقمي يبدأ من قدرتنا على اختيار ما نتابعه، وما ننشره، وما نصدقه، وما نرفض أن نساهم في نشره.

العلاقة بين الذكاء الاصطناعي ومواقع التواصل الاجتماعي

يتقاطع الذكاء الاصطناعي مع مواقع التواصل في جوانب كثيرة؛ فهو يساهم في اقتراح المحتوى، وتحليل سلوك المستخدمين، وتحسين البحث، واكتشاف بعض الأنماط غير الطبيعية، كما أصبح قادرًا على إنتاج نصوص وصور ومقاطع صوت وفيديو بدرجات متزايدة من الإقناع. وهذا التطور يفتح بابًا واسعًا للإبداع، لكنه يرفع أيضًا أهمية التحقق من مصدر المحتوى ومعرفة أن ما نراه على الشاشة قد يكون مصطنعًا أو معدلًا.

ولهذا نحتاج إلى مهارة جديدة يمكن تسميتها "الوعي الرقمي النقدي": أن نتوقف قبل التصديق والمشاركة، وأن نسأل عن المصدر، والهدف، والسياق، والدليل. فسرعة التكنولوجيا يجب ألا تتحول إلى سرعة في تصديق كل شيء.

كيف نستخدم التكنولوجيا بصورة أكثر إنسانية؟

- اجعل التقنية وسيلة لتحقيق هدف واضح، لا عادة تستهلك وقتك بلا معنى.
- تحقق من الأخبار والمعلومات قبل مشاركتها، خصوصًا عندما تكون مثيرة أو صادمة.
- استخدم الذكاء الاصطناعي للمساعدة في التفكير والإنجاز، مع مراجعة نتائجه وعدم التعامل معها باعتبارها معصومة من الخطأ.
- احترم الخصوصية وحقوق الآخرين، ولا تنشر صورة أو معلومة عن شخص دون مراعاة حقه.
- وازن بين الحياة الرقمية والحياة الواقعية، وامنح الأسرة والأصدقاء والقراءة والرياضة وقتًا خارج الشاشة.
- علّم الأطفال والشباب أن قيمة الإنسان ليست في عدد المتابعين أو الإعجابات، وإنما في علمه وأخلاقه وأثره.

الخاتمة: التكنولوجيا لا تصنع المستقبل وحدها

المستقبل لن تحدده الآلات وحدها، بل سيحدده الإنسان الذي يختار كيف يستخدمها. الذكاء الاصطناعي والتقنية ومواقع التواصل الاجتماعي يمكن أن تكون أدوات لبناء مجتمع أكثر معرفة وإبداعًا وتعاونًا، ويمكن أيضًا أن تصبح مصدرًا للتشتت والمعلومات المضللة إذا غاب الوعي. لذلك فإن التحدي الحقيقي ليس أن نواكب التكنولوجيا فقط، بل أن نحافظ على إنسانيتنا ونحن نستخدمها.

وفي النهاية، أفضل مستخدم للتكنولوجيا ليس من يعرف أكبر عدد من التطبيقات، وإنما من يعرف متى يستخدمها، ولماذا يستخدمها، ومتى يغلقها. فالتقدم الحقيقي هو أن تجعل التكنولوجيا حياتنا أفضل، لا أن تجعل حياتنا تدور حولها.